

ابن حزم الظاهري وإسهاماته العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية

طالب دكتوراه طيايبه تقي الدين

كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1

مخبر الفقه الحضاري ومقاصد الشريعة

takitiaiba1@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/02/20 تاريخ القبول: 2020/10/28

الملخص:

يطرح البحث إشكالية أساسية حول إسهامات ابن حزم العلمية، والفكرية في الحضارة الإسلامية، فابن حزم من أهم الشخصيات الفذة في التاريخ الإسلامي، فقد خدم الحضارة الإسلامية بمقارباته العلمية الجديدة، ونظرته للعلوم، ويرجع الفضل في ذلك إلى القريحة التي يمتلكها، وفكره الثاقب، فقد أعطى ابن حزم القوة لهذا المذهب أي المذهب الظاهري ليجعله النواة الأساسية في دراسته للفقه، وفي الأصول، وفي التاريخ وفي العقائد فقد كان لابن حزم الدور الكبير في إعطاء الطابع الجمالي للحضارة الإسلامية فما هي الأسس والأفكار التي اعتمد عليها ابن حزم في خدمة الحضارة الإسلامية؟ وكيف استطاع ابن حزم أن يضفي إليها مقاربات جديدة في السياسة والفقه والمنطق والتاريخ وعلم الاجتماع وغيرها؟. وقد عالجت الموضوع في مبحثين رئيسيين، أولهما يتعلق بحياة ابن حزم الاجتماعية والسياسية والعلمية، وثانيهما يتعلق بإسهامات ابن حزم العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية (ما يتعلق بعلم التاريخ، والفكر السياسي والعقائدي...). والذي يمكن استنتاجه أن ابن حزم كان فذا في دراسة العلوم، من خلال منهجه في الدراسة والتقسيم، هذا ما نستشفه من خلال نظرته لعلم التاريخ وعلم الاجتماع. الكلمات المفتاحية: ابن حزم؛ الإسهامات؛ العلمية؛ الفكرية.

Abstract:

The research raises a fundamental problem about Ibn Hazm's scientific and intellectual contributions to the Islamic civilization. Ibn Hazm is one of the most important and distinguished figures in Islamic history. He served the Islamic civilization with his new scientific approaches and his view of the sciences, thanks to which he

possesses al-Qiraihah and his insightful thought. Ibn Hazm has the strength of this doctrine, i.e., the apparent doctrine, to make it the basic nucleus in his study of jurisprudence, in the fundamentals, in history and in beliefs. Ibn Hazm had a great role in giving the aesthetic character of the Islamic civilization. What are the foundations and ideas that Ibn Hazm relied on in the service of the Islamic civilization? How was Ibn Hazm able to bring to it new approaches in politics, jurisprudence, logic, history, sociology, and others?

Dealt with the subject in two main topics, the first of which is related to Ibn Hazm's social, political and scientific life, and the second is related to Ibn Hazm's scientific and intellectual contributions to Islamic civilization (what is related to the science of history, political and ideological thought ...).

What can be concluded is that Ibn Hazm was exceptional in the study of sciences, through his methodology of study and division. This is what we discern through his view of history and sociology.

Key words: Ibn Hazm, Scientific contributions, Intellectual.:

المقدمة:

تعد حياة ابن حزم الأندلسي نموذجاً لحياة العالم النزيه الذي يطلب العلم للعلم والعمل، لا للمال والجاه، أو للشهرة والمجد فعاش للعلم وجاهد للعلم وخلده العلم بين الخالدين.

كما أن الباحث الذي يريد الإمام ببعض الجوانب العلمية، والفكرية لدى ابن حزم، يجد نفسه مضطراً إلى الوقوف على الإطار الحضاري لهذا المفكر الموسوعي الكبير، خصوصاً وقد عاش ابن حزم في بيئة علمية تلاقى فيها الفكران الشرقي والغربي في رحاب بلاد الأندلس.

وإشكالية البحث تدور حول إسهامات ابن حزم العلمية، والفكرية في الحضارة الإسلامية، فابن حزم من أهم الشخصيات الفذة في التاريخ الإسلامي، فقد خدم الحضارة الإسلامية بمقارباته العلمية الجديدة، ونظرته للعلوم، ويرجع الفضل في ذلك إلى القريحة التي يمتلكها، وفكره الثاقب، فقد أعطى ابن حزم القوة لهذا

===== ابن حزم الظاهري وإسهاماته العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية

المذهب أي المذهب الظاهري ليجعله النواة الأساسية في دراسته للفقهاء، وفي الأصول، وفي التاريخ وفي العقائد فقد كان لابن حزم الدور الكبير في إعطاء الطابع الجمالي للحضارة الإسلامية فما هي الأسس والأفكار التي اعتمد عليها ابن حزم في خدمة الحضارة الإسلامية؟ وكيف استطاع ابن حزم أن يضفي إليها مقاربات جديدة في السياسة والفقهاء والمنطق والتاريخ وعلم الاجتماع وغيرها؟.

وأما عن أهداف البحث فإنه يسعى إلى معرفة مقاربات ابن حزم في دراسة العلوم، ومعرفة جهوده الفكرية والعلمية في خدمة الحضارة الإسلامية، وأهم القيم التي أضافها للحضارة الإسلامية وأهم الأطر والآفاق الجديدة التي جاء بها والتي بها استطاع ابن حزم أن يعيد المذهب بأكمله.

وأهمية البحث تكمن في معرفة جهود العلماء وتثمينها من خلال الزخم الفكري الذي تركه بعضه، ومعرفة مجال هذه الجهود هل كانت تتعلق بعلم معين أم عرفت الموسوعية.

والمنهج المتبع في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع أحداث التاريخ وتحليلها.

ومن أهم الدراسات السابقة، ما قام به أبو زهرة حياة ابن حزم، قام به عبد الحليم عويس، وحسان محمد حسان.

1- حياة ابن حزم الاجتماعية والسياسية والعلمية

تمهيد: لقد كان من أبرز ما عني به بنو أمية في الأندلس نقل العلم والمعرفة فوفقوا في هذه النواحي توفيقاً يكاد يكون عجيبيّاً، إذ لم يمض على إقامتهم هناك ثلاثة أرباع قرن من الزمان حتى نشأت أجيال من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، ومن بين هؤلاء ابن حزم الظاهري.

1-1- ابن حزم المولد والنشأة: ابن حزم هو أبو محمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن معدان ابن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن صخر بن أمية و أصله من فارس وجده دخل الأندلس يوم الأربعاء في شهر رمضان.

وكان حفظاً عالماً بعلوم الفقه مستنبطاً الأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب، وجمع من الكتب في علوم الحديث والمصنفات والمسندات

شبيئاً كثيراً وسمع سماعاً جما وألف في فقه الحديث كتاباً سماه الإيصال، وله كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، وكتاب في الإجماع ومسائله على أبواب الفقه¹.

وكان له في البلاغة يد قوية قال وقال أنشدنا أبو محمد قال أنشدني أبي في بعض وصاياه لي إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها².

ويعود أصل ابن حزم بالضبط من قرية منت نشيم من إقليم الزاوية من كورة لبلة من عرب الأندلس وسكن قرطبة هو وآبؤه ونالوا بها جاها عريضا³. وكان أبوه أحد العظماء من وزراء المنصور محمد بن عبد الله بن أبي عامر، وكان من المدبرين لدولتها وكان ابنه الفقيه أبو محمد وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبار، وكان ابن حزم من الذين يعتنون بالمنطق فألف فيه كتاباً بسط فيه طرق المعارف⁴.

ونشأ ابن حزم على أيدي النساء وقد حفظ القرآن بعنايتهن له وهو الذي قال عن نفسه: "لقد شاهدت النساء وعلمت أن أسرارهن مالم يعلمه غيري لأني ربيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب، وهن علمني القرآن ورويني كثيراً من الأشعار ودربيني على الخط"⁵.

من خلال الكلام الذي سقناه من رسالته يبين النشأة الأولى في تعليمه، وأنه تربى في أحضان النساء تربيته الأولى تعلم الكتابة وتدريب على الخط ليكون خطه جيداً وأنه حفظ كثيراً من الأشعار وأن النساء هن اللاتي تولين تلقينه ذلك كله وقال إنهن علمنه القرآن ولم يقل أنهن حفظنه فهذا يدل على أنهن كن يحفظنه مع شرحهن له ما اشتملت عليه الآيات من قصص وأخبار⁶.

وكان أبوه الذي كان قائماً على تربيته معتنياً به كل العناية كان لا يغفل طرفة عين عن مراقبته وملاحظته، ولقد حكى هو تلك المراقبة وأنها كانت السبب في عفته مع ملازمته للنساء والعيش الرافع وقد ذكر ابن حزم ذلك في كتابه طوق الحمامة قال: "ولما عقلت وملكت نفسي صحبت أبا الحسن بن علي الفارسي في مجلس أبي القاسم، وكان عاقلاً عالماً عاملاً كان من أهل الصلاح

===== ابن حزم الظاهري وإسهاماته العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية والنسك الصحيح في الزهد في الدنيا والآخرة فانتفع به كثيرا، وعلم موضع الإساءة وقبح المعاصي"⁷.

بالرغم من القيادة الحسية التي كانت تتحكم فيه إلا أن هناك قيادات روحية كانت هي الأخرى تقوده إلى طريق الرشاد فقد كان أبوه حريصا عليه يوجهه إلى المشايخ الذين يسهرون على تربيته ونشأته تنشأة علمية، وممن كان لهم الحظ الوفير في تربية ابن حزم فقد كان أحد العلماء الذين اختارهم أبوه، وكان هذا الشيخ عرف عنه بعزوفه عن النساء حتى في الشيء الحلال فلذلك لقبه ابن حزم بالحصور، وهذه دلالة على إعجابه بشيخه فكان المرشد والموجه واستطاع هذا الشيخ أي أبو الحسن عن القضاء عن النزوات والشهوات في قلب ابن حزم، لكن لم يستمر هذا العيش الرغيد لابن حزم بعد أن انقلبت الموازين وخاصة لما كان أبوه وزيرا في الدولة الأموية الأولى، فلما آل هذا السلطان إلى بني عامر، وخاصة المنصور العامري بطبيعة الحال هذا الحكم سيغير أمورا كثيرة من بينها الذين كانوا متقلدين لمناصب الوزارة فكان هذا البؤس قد مس أسرة ابن حزم فبدأت النكبات تصل إلى أسرته وعمره خمسة عشر سنة، فقد تكلم عن هذه الأزمات والنكبات فقال: "شغلنا بعد قيام أمير المؤمنين المؤيد بالنكبات ومحنة الاعتقال والتغريب والاعرام الفادح والاستتار إلى أن توفي أبي، ولعل هذه النكبة التي كان يعيشها ابن حزم أثرت عليه وعلى حياته فاختلطت فيها الشدة بالنعمة وطيب العيش بجهد الحياة فكان مزاجا بين الرقة والعنف والعواطف الناعمة والجدل الصارم"⁸.

وقد أمضى ابن حزم في قرينته (منت) سنوات أخيرة التي تقترب من العقدين يبث فيها علمه فأخذ يحث ويفقه ويدارس الناس ويحظ على العلم والمواظبة على التأليف و الاكثار من التصنيف، وفي ليلة الإثنين 28 شعبان سنة 456هـ توفي ابن حزم بعد عمر يبلغ اثني وسبعين سنة⁹.

1-2- شيوخ ابن حزم وطلبته

أ- شيوخ ابن حزم: تعلم ابن حزم في حياته الأولى ما يتعلمه الأكابر من كبار الدولة من حفظ الأشعار وحفظ القرآن والخط والكتابة وكان ذلك على أيدي النساء كما ذكرنا.

ولم يكتف أبوه بذلك بل جعل له رجلا تقيًا وقورا وحصورا يلازمه ويجلسه في مجلس الشيوخ يستمع إليهم، ويتلقى عليهم ما تدركه سنه ذلك الرجل هو أبو الحسن بن علي الفارسي، وأخذ في هذا الوقت على أحمد بن الحسور كما روى عن الهمذاني في سنة 401هـ¹⁰.

كما سمع ابن حزم من أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد المصري وقد قرأ عليه الحديث و أبو بكر حمام بن أحمد القاضي، وأبو محمد القاضي، وأبو سعيد الفتى الجعفري وقرأ عليه الأدب والشعر وأبو عمر أحمد بن الحسين، ويحيى بن مسعود، ويوسف ابن عبد الله القاضي ومحمد بن سعيد وعبد الله بن الربيع التميمي وعبد الله ابن محمد ابن عثمان وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد وعبد الله بن يوسف¹¹.

وقرأ الفقه على يد أبي عبد الله بن دحون كما قرأ علي بن سعيد العبدي من أهل جزيرة ميورقة وأخذ المنطق على محمد بن الحسين المذبحي، ومن شيوخه البارزين مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار وعنه أخذ بعض الآراء الفقهية وربما هنا بدأ اتجاهه إلى القول بالظاهر.

ومن أساتذته في التاريخ والده أحمد بن سعيد الذي كان يقص عليه أحداث الدولة العباسية والقاضي أبو الوليد عبد الله بن يوسف ابن القرضي وابن الدلائي، وأيضا من شيوخه عبد الرحمن بن سلمة الكناني وعبد الله بن محمد بن عبد الملك ولم يكن التخصص الدقيق معروف في ذلك الزمن بل غالبا ما كان المحدث فقيها وباحثا في علم الكلام ومؤرخا ومنطقيًا ولغويا وشاعرا .

ب- طلبته: ومن تلاميذ ابن حزم بن أبي بن عبد الله بن حميد الأزدي المعروف بالحميدي ت 491هـ، صاحب كتاب الجذوة المقتبس ظل ظاهري المذهب وعمل على نشره بكل جهده في الأندلس وفي المشرق بعد أن رحل إليه، ومن مؤلفاته الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم مطبوع وجذوة المقتبس، الذهب المسبوك في وعظ الملوك.

ومن تلامذة ابن حزم أبو بكر الوليد بن الطرطوشي ت 520هـ صاحب كتاب سراج الملوك.

===== ابن حزم الظاهري وإسهاماته العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية

محمد شريح الرعيني ومن مؤلفاته الكافي في القراءات السبع، والحسين بن عبد الرحيم له إجازة من ابن حزم، وأبو بكر عبد الباقي بن محمد ت 502هـ ظل ظاهري المذهب وعمل على إذاعة كتب شيخه والاهتمام بها. وعلي بن سعيد العبدي النيورقي توفي بعد سنة 491هـ، ترك المذهب الظاهري بعد وفاة ابن حزم وتفقه على يد أبي بكر الشاشي وله تعليق في المذهب الشافعي، ومحمد بن مسلمة، وعبد الملك بن الحمانى القرطبي كان التلميذ الصديق له عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري الاشبيلي صحب ابن حزم سبعة أعوام سمع خلالها مصنفاته كلها سوى المجلد الأخير من كتاب الفصل وله إجازة أكثر من مرة.

2- إسهامات ابن حزم العلمية في الحضارة الإسلامية:

تمهيد: لقد تميز ابن حزم عن بقية العلماء، بفكره التحليلي لوقائع التاريخ، وتركيزه على الجانب الأخلاقي، واستخدامه مقاربات منهجية في الجانب السياسي والاجتماعي وحتى العقائدي

2-2- إسهامات ابن حزم في التاريخ: ابن حزم يرى أن التاريخ علم وأنه قسم من الأقسام السبعة التي أقسام عند كل أمة في كل زمان وفي كل مكان. وكان مدلول ابن حزم على التاريخ بعلم الأخبار، وكان ينظر أن التاريخ أن التاريخ عبارة عن مقدمات اضطرارية اعتمد التواتر في النقل من أجل الإقرار بصحتها.

وعملية التاريخ عند ابن حزم ببعض التوثيق والتجريد تنطلق انطلاقاً من التفسير الذاتي في منهجه وفلسفة التاريخ عند ابن حزم مدلولاً ينطبق على المدلول المستقر الآن غير أن هذه المرحلة عنده هي مرحلة تالية للمادة المجردة النقلية التي هي أساس هيكل التاريخ وبنائه العام، وكان يلتزم في دراساته التاريخية على الضبط الشديد والإيجاز الذي يشبه الكليات اعتماداً على المنهج النقلي والأثري، وما يتبعهما من جرح وتعديل مما يجعل ابن حزم ينتمي للجيل الأول الذي كان التاريخ عندهم امتداداً لعلم الحديث¹².

وكان ابن حزم يطالب بتأخير دراسة التاريخ حتى تكتمل عند الدارس مقدرة الحكم والقدرة على التمييز.

والهدف من دراسة التاريخ عند ابن حزم كسائر المفكرين المسلمين هدف أخلاقي وسياسي، فدراسته تفيد معرفة أسباب ذهاب الملوك، فيحدث له فيها زهد وقلة رعاية، وفي الوقت نفسه يقف على حمد المتقين للفضائل فيرغب فيها ويسمع ذمهم للردائل فيكرها ويظهر اهتمام ابن حزم بالتاريخ عندما يقول أن التاريخ علم سهل جدا ومنشط ومنتزه لا ينبغي لأحد أن يخلوا منه بل يجعله منحة وراحة وتجديدا للنشاط ودفعاً للسأم¹³.

ورتبة التاريخ عند ابن حزم أنه جعل التاريخ من جملة العلوم الثلاثة التي تميز أمة عن الأمم الأخرى وهو يضع التاريخ علم الأخبار بعد علم الشريعة وقبل علم اللغة. ثم بعد ذلك تأتي العلوم الأربعة التي تتميز بها الأمم كعلم النجوم وعلم العدد وعلم الطب، وعلم الفلسفة وهي معرفة الأشياء على ما هي عليه، أما من ناحية برنامج التعليم والتدريس فإن ابن حزم جعل علم التاريخ بعد القراءة والكتابة واللغة والمنطق والطبيعات وكتب التشريح، ولكن هذه العلوم التي هي قبل التاريخ هي عبارة عن مقدمات يعرف المرء من خلالها أوليات الأشياء والبراهين¹⁴.

ويرى ابن حزم أن التاريخ ينقسم إلى مراتب من ناحية منهج تناوله:

- 1- إما تاريخ خاص بالممالك (تاريخ الإمبراطوريات).
- 2- إما تاريخ خاص بالسنين (التاريخ الحولي).
- 3- وإما تاريخ البلاد (التاريخ المحلي).
- 4- وإما تاريخ منثور وهو التاريخ الذي يضم أشناتاً.
- 5- وإما تاريخ طبقات الناس من فقهاءهم وعلمائهم وغيرهم.
- 6- وعلم النسب¹⁵.

وقد ضمت دراسات ابن حزم أنواعاً أخرى تختلف في منهج تناول هذه الأنواع:

- 1- تاريخ الأديان والأفكار والمذاهب.
- 2- تاريخ المعارف والعلوم.
- 3- التاريخ الاجتماعي.
- 4- التاريخ الاقتصادي.

===== ابن حزم الظاهري وإسهاماته العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية

وابن حزم يقسم التاريخ من ناحية الفترات التاريخية إلى تاريخ الحملة الإسلامية وهو أصح التواريخ ويضم مبدأ الملة الإسلامية وفتوحها وأخبار خلفائها وملوكها وعلمائها.

تاريخ بني إسرائيل وأكثره صحيح، وإنما يصح من أخبار منذ أن صاروا بالشام، وأخبار الروم وتصح من عهد الاسكندر لا قبل ذلك وأخبار الترك والخزر وسائر أمم الشام وأمم السودان وهذه أمم لا علوم لها ولا تأليف لها وأخبار الهند والصين ثم أخبار الفرس¹⁶.

والعوامل المؤثرة في التاريخ عند ابن حزم نستطيع أن نتكلم عن بعض الأمور قبل أن تلج في العوامل المؤثرة في التاريخ عند ابن حزم أن هناك فرقا بين فعل الله في الكون الذي هو قوانين وسنن حتمية وبين فعل الإنسان الذي هو العنصر المؤثر في رقي الحضارة.

ومن خلال هذا الإدراك استنتج ابن حزم العوامل التي تجعل حركة الإنسان في التاريخ حركة إيجابية ورفض الخلط بين ما يمكن لنا تسميته الحتمية الكونية وبين الحرة الإنسانية فتكون الأولى إجبارية اضطرارية وتكون الثانية ممكنة التصرف¹⁷

ومع ذلك فبإمكاننا أن نقول مطمئنين أن ابن حزم يندرج تحت قائمة المفكرين الإسلاميين الذين يرون أن أحداث التاريخ تصنع في البداية وفي إطار الحركة الكونية إرادة الله.

وبدلنا فكر ابن حزم على أن هناك عناصر ثلاث ركز عليها وقدمها كعوامل تهم بدرجة كبيرة في إبداع الحضارة وهي كلها عوامل تؤكد أن الجانب الروحي والفكري وهو ما ركز عليه أكثر المفكرين الإسلاميين وهو أهم تفسير للتاريخ¹⁸، وأن العوامل المادية والبيئية مع ضرورتها تحتل مرتبة عالية في صنع الحضارة وفي استمرار تماسكها ومن أهم العوامل التي اعتمد عليها ابن حزم:

العقيدة: يرى ابن حزم أنه لا بد لكل أمة من معتقد إما إثبات وإما إبطال كما يقول ابن حزم وتكمن أهمية العقيدة عند ابن حزم فهي بمثابة الروح التي توجه الإنسان إلى البناء وتنفي باطنه من الأمراض الاجتماعية والخلقية، بل إن

العقيدة إصلاحها للنفس وتقويمها وتوجيهها من طريق مرسوم والرؤية التي انطلق منها ابن حزم في فهم العقيدة سواء كانت صالحة أو فاسدة نفس الرؤية وإن أمة تملك عقيدة وفكر تستطيع الصمود والإبداع من الأمة التي تعيش بلا عقيدة أو شريعة.

2-2- إسهامات ابن حزم في الفكر السياسي: يعتبر ابن حزم مفكراً إسلامياً شأنه شأن كثير من المفكرين الذين يدورون في فلك الإطار الإسلامي ومن خلال الآثار التي تركها ابن حزم رحمه الله يتبين أنه ينطلق من أنه فقيه مسلم له منهجية الظاهري في فهم النصوص وأنه مفكر مثقف عاش بتجربة سياسية، لها سلبياتها التي أوجت إليه ببعض عناصر الفكر السياسي الصالح، التي جعلته ينتقد الفكر السياسي الفاسد، وكونه شخصية علمية متطلعة في نظام الخلافة الإسلامية فقد اطلع على كل خبايا الخلافة الإسلامية حسناتها وسيئاتها. وقد كان لابن حزم رسالة ضمت الخطوط العريضة للخلافة الإسلامية وتعد هذه الرسالة نصاً نفيساً تضمنت الخلفاء في عصره وكيفية انتقال الخلافة من عصر إلى عصر سواء كانت بعهد أو مغالبة أو ما أصاب هذا النظام من تدهور وفساد¹⁹.

والذي أمكنه من ذلك الاتصال الوثيق بالملل والنحل هو الذي أكسب ابن حزم فكرة سياسية وخاصة كان أساس هذه الفكرة التي بنيت عليها العقائد وكان ابن حزم إذا تناول القضايا السياسية التي عالجه، هي قضايا تتعلق بآراء الخوارج في الحكم ومرتكب الكبيرة وآراء السنة والشيعة في المفاضلة بين الصحابة في أمور سياسية ونظام الخلافة في الإسلام وكل ما يتعلق بولاية القضاء وحقوق.

أما عن رأي ابن حزم في الخوارج: فبعد الحادثة المعروفة بعد القضية التحكيم بين علي ومعاوية والذي حكم فيه أبو موسى الأشعري وعمرو ابن العاص أدى ذلك إلى بدء ظهور الفرق ذات الآراء السياسية وخاصة عندما رفض فريق من جيش علي بن أبي طالب نتيجة التحكيم ولم يرفضوا فقط نتيجة التحكيم بل رفضوا بدأ التحكيم ذاته ويرى ابن حزم في الخوارج هم كفرة

===== ابن حزم الظاهري وإسهاماته العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية

خارجون يجب قتالهم، و يعتبر عنده فتحا لهم كفتح أبي بكر وعمر رضي الله عنه²⁰.

وبنى ابن حزم آراءه في الخوارج على بعض الأدلة التي ساقها من خلال بعض فرقهم كفرقة الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق فهؤلاء قد أباحوا دم الأطفال وقتل النساء وكل من قال وتلفظ أنا مسلم وتحرمون قتل من انتمى إلى اليهود أو إلى النصارى أو إلى المجوس.

وخالف ابن حزم رأي الخوارج في مرتكب الكبيرة لما قالوا أنه كافر واعتبر الحسن البصري أنه منافق وقالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين والمرجئة لا يضر مع الإيمان معصية كما لا يضر مع الكفر طاعة²¹.

لكن ابن حزم قام بمعالجة هذه الفكرة التي شغلت حيزا كبيرا من الفكر السياسي بمنهج ظاهري يعتمد على النصوص فكان رحمه الله لا يفضل بين النصوص العفو والمغفرة ولا نصوص الحساب والعقاب²².

ويرى ابن حزم بالموازنة في الذي ارتكب الكبيرة ولقي الله ولم يتب منها فينظر إن رجحت حسناته على كبائره فإن كبائره وسيئاته تسقط وهو من أهل الجنة وإن استوت حسناته مع كبائره وسيئاته فهؤلاء مجازون بقدر ما رجح بهم من الذنوب.

وقد استعرض ابن حزم الأقوال المتعلقة بأفضلية الصحابة بحيث منهم من يرى أن أفضلهم علي بن أبي طالب ومنهم عمر بن الخطاب ومنهم من قال جعفر بن أبي طالب ومنهم من قال أبو بكر الصديق وهم كثيرون.

ولكن ابن حزم يرى أن أفضلية الخلفاء الراشدين تتسلسل بحسب ولايتهم فأبو بكر أفضل من عمر أفضل من عثمان وعثمان أفضل من علي، وكل منهم يفضل من يليه جهادا وعلما.

بل إن ابن حزم يرى أن أبا بكر ولي الخلافة بعهد صريح من رسول الله، ونص عنه، وتبع نفس المنهج في تفضيل عمر لأنه فيما نرجح جعله يندرج تحت أبواب التفضيل.

وحرص ابن حزم على الشبهة التي روجها الشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعلي بن أبي طالب والخلفاء الراشدين، وقسم ابن حزم حتى نساء النبي

فجعل أفضلهن عائشة ثم خديجة والخلفاء الراشدون بترتيبهم الأولون: المهاجرون الأولون وأهل بدر أهل المشاهد بالترتيب مشهدا مشهدا حتى الحديدية التابعون ثم عامة الناس²³.

2-3- إسهامات ابن حزم في الفكر الاجتماعي: يظهر اهتمام ابن حزم بالجانب الاجتماعي من خلال التحليل المفصل الذي قدمه حول المجتمع الأندلسي في عصره، وكان ابن حزم شأنه شأن الكثير من المفكرين الإسلاميين قبل ابن خلدون بحيث لم تكن له فلسفة اجتماعية دقيقة تصلح أن تكون علما قائما بذاته لها منهجها ولها موضوعات بحث مستقل²⁴.

وترتكز نظرة ابن حزم الاجتماعية على منبوعين رئيسيين:

1- الملاحظة والمشاهدة.

2- التجربة الخاصة.

لقد كان ابن حزم إنسانا اجتماعيا يدعو إلى التغيير بكل الطرق الممكنة ولم يكن بالفيلسوف الذي يرصد الواقع ويستسلم له، بل كان ابن حزم يرفض هذه الواقعية ويعمل أن الواقع بالقيم لا القيم بالواقع، وانطلق ابن حزم في دراسته من خلال العمران البشري ونحى فيه نفس المنحى الذي ينحوه الفكر الإسلامي ومدى تطابق طبيعة المجتمع من خلال سمة الطابع الأخلاقي في النظرة الإسلامية، وتعد مقدمته التي جاء بها من المقدمات التي تعتبر من المقدمات الشامخة في الفكر الإسلامي كما يمثلها ابن خلدون وهذا راجع إلى النظرة الإجلالية للتاريخ والتقدير لمعنى التعاون في الحياة الاجتماعية.

كما لابن حزم نظرية تعتبر من الأمور الجديدة التي في هذا الباب والتي بها ضمان المجتمع والدولة للحقوق الأساسية للفرد وهي نظرية التكافل الاجتماعي، ولابن حزم نص مشهور يتداوله الفقهاء وخاصة المعاصرين وهي بمثابة قاعدة تشريعية تدعو إلى العدالة الاجتماعية أو ما يسمى بالاشتراكية والحركات التي انتهت بإقرار حقوق الإنسان الاجتماعية والاقتصادية بحيث يقول ابن حزم: "وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن تقم الزكوات بهم، فيقام لهم بما يأكلون من

===== ابن حزم الظاهري وإسهاماته العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية

القوت الذي لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكفيهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة"²⁵.

لقول الله تعالى: [فَاتِ دَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] (الروم: 38)، وحديث النبي p: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه"²⁶.

ويكمل ابن حزم نظريته ببعض الأحكام منها عدم أكل المضطر الميتة وشرب الخمر وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه سواء كان لمسلم أو ذمي²⁷.

ومن خلال النصين الذين دعمهما ابن حزم بنصوص من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة تأكيد ثلاثة جوانب: التكافل الاجتماعي والتزام الدولة بكفالة حقوق الأفراد والمستوى المعاشي الذي يمكن أن يعتبر الحد الأدنى لكل إنسان، ويرى ابن حزم أن هذا الأمر لا يمكن أن يتحقق إلا بتدخل الدولة من أجل تحقيق الكفاية لكل فرد، لأن الزكاة عند ابن حزم ليست لوحدها أن تحقق هذا التكافل الاجتماعي²⁸.

ويرى ابن حزم أن المرأة لها مكانة اجتماعية وسواها بالرجل في الحقوق وناقش أقوال الفقهاء في ذلك وفسر قول الله تبارك وتعالى: [الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ] (النساء: 34)، ذكر بأن القوامة هنا لا علاقة لها بالحقوق والطبيعة الإنسانية أو القدرة على التصريف، ويرى أن المرأة يجوز لها أن تتولى مناصب من بينها القضاء وفسر قول الرسول p: "الن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة"، وقال في الحديث بأن الدلالة التي قصدها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث هي الخلافة أما بقية المناصب فيجوز لها أن تتقلدها، ويكون ابن حزم قد وافق قول أبا حنيفة في جواز الحكم للمرأة²⁹.

2-4- إسهامات ابن حزم في العقائد: يعد كتاب الفصل في الملل والأهواء الذي ألفه ابن حزم منعظا جديدا في طريقة بحث ابن حزم التي تتبع فيها طريقة الاستقصاء والتتبع والتحقيق، وهذا الكتاب من أبرز المؤلفات في

مقارنة الأديان يرجع له السبق في هذا الميدان من خلال التبويب والاستنباط وانتظام التفكير وسعة الاطلاع وشمول النظرة³⁰.

ولقد سلك ابن حزم في تناول العقائد منهاجا بريئا وبعيدا عن الاستطراد والإخلال والتعقيد يعتمد على إيراد البراهين المنتجة من المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس، وقد اعتمد على منهج التدرج العقلي وعلى نظرة شاملة للمل والنحل وقسم الفرق الموجودة في العالم الإسلامي إلى:

- 1- مبطلو الحقائق (الفسطائية).
- 2- مثبتو الحقائق مع عدم الاعتراف بالخالق والزعم بأزلية العالم الفلاسفة الملحدون.
- 3- مثبتو الحقائق مع الاعتقاد بأزلية الله والعالم معا وهم الفلاسفة الكفرة.
- 4- مثبتو الحقائق مع الاعتقاد بأن للكون مدبرين كثيرين الزرادشتيون.
- 5- مثبتو الحقائق مع الاعتقاد بأن هناك إله واحد مع إنكار النبوات البراهميون.
- 6- مثبتو الحقائق مع الاعتقاد بالخالق والإيمان ببعض الأنبياء فقط وهم اليهود والنصارى والصابئة³¹.

وطبق ابن حزم في دراسته للمل والنحل منهاجا واحد استخدام ظاهرية اللغة وعدم القول بالتأويل، ومن قواعده العامة في نقد الأديان أن كل كتاب دون فيه الكذب فهو باطل كالذي ظهر فيه فساد المجوس وفساد اليهود، ومن قواعده عدم الاعتراف بالكثرة فالحق عنده من صدقه الناس والباطل من كذبه الناس ومن قواعده التركيز على العقائد في مناقشة المل والنحل على سواء ومن قواعده احترام الأساليب الجدلية في المنطق ومن أجل هذا قد وضع كتابه تقريبا حد المنطق.

الخاتمة:

بعد هذه الصولات والجولات في شخصية ابن حزم نخلص في الأخير إلى أن ابن حزم من أهم الأعلام المغاربة الذين وضعوا بصمتهم في التاريخ الإسلامي، فلقد أسهم في إحياء مذهب كامل بعد ما كانت نهايته الزوال وهذا راجع إلى الجهود التي كان يبذلها ابن حزم ونلحظ الجهود التي تركها ابن حزم تتجلى في دراسته للتاريخ فقد استخدم منهجية وأساليب عجيبة في دارسته وفي تقسيم له، وأيضا المنهج الاجتماعي والذي خلص به ابن حزم إلى أن المجتمع

===== ابن حزم الظاهري وإسهاماته العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية

حتى يحفظ سلامته كان يدعوا إلى التكافل الاجتماعي والنظر إلى الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والنظر إليهم بعين الرحمة. كما درس العقائد وطبق منهجيته، وهذا ما يظهر في كتابه الفصل الذي قد قدم فيه ابن حزم رحمه الله تفصيلا دقيقا عن الفرق والتيارات الفكرية واستطاع ابن حزم من خلال هذا الكتاب أن يرد على المسيحيين واليهود والدهريين واستخدم المنطق القوي الذي يبين حصافة ذهنه الذي نجده مفصلا في كتابه تقريب حد المنطق بل بعض الفرق غير اليهود والنصارى وقد قدم نقدا في بعض الأفكار التي ذهبوا إليها كالمعتزلة الذين تقدمهم في الفكرة المعروفة فكرة خلق القرآن.

قائمة المراجع:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- السنة النبوية، صحيح البخاري، وصحيح ابن حبان.
- 3- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت.
- 4- ابن بشكوال، الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م.
- 5- ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية، دط، بيروت، 1912م.
- 6- ابن حزم، طوق الحمامة، دط، مكتبة عرفة دمشق، دت.
- 7- أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره وأراؤه الفقهية، دط، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 8- الحميدي، جذوة المقتبس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري، دط، القاهرة، 1989م.
- 9- عبد الحلیم عويس، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط2، القاهرة، 1990م.
- 10- حسان محمد حسان، ابن حزم الأندلسي، عصره ومنهجه وفكره التربوي، دط، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 11- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، دط، مصر، 1999م، ج1.
- 12- ابن حزم، الفصل، طبعة صبيح، دط، مكتبة السلام العالمية، 1348هـ، ج4.
- 13- ابن حزم، المحلى، تحقيق عبد الغفار البنداري، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت ج6.

الهوامش:

- ¹ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، ص327-328.
- ² - ابن بشكوال، الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م، ص57-58.

- 3- ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية، دط، بيروت، 1912م، ص7.
- 4- ابن صاعد، المصدر نفسه، ص26.
- 5- ابن حزم، طوق الحمامة، دط، مكتبة عرفة بدمشق، دت، ص26.
- 6- ابن حزم، طوق المصدر نفسه، ص27.
- 7- أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره وأراؤه الفقهية، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، ص26-27.
- 8- ابن حزم، المصدر السابق، ص168.
- 9- ابن حزم، المصدر نفسه، ص101.
- 10- محمد أبو زهرة، ابن حزم، ص29.
- 11- محمد أبو زهرة، المرجع نفسه، ص30.
- 12- الحميدي، جذوة المقتبس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري، دط، القاهرة، 1989م، ص44، عبد الحلیم عويس، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط2، القاهرة، 1990م، ص66.
- 13- عبد الحلیم عويس، المرجع السابق، ص124.
- 14- حسان محمد حسان، ابن حزم الأندلسي، عصره ومنهجه وفكره التربوي، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، ص140.
- 15- عبد الحلیم عويس، ابن حزم، ص130- ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ص198.
- 16- عبد الحلیم عويس، المرجع السابق، ص129.
- 17- عبد الحلیم عويس، المرجع نفسه، ص127.
- 18- عبد الحلیم عويس، المرجع نفسه، ص132.
- 19- أحمد ثلثي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، دط، مصر، 1999م، ج1، ص22.
- 20- عبد الحلیم عويس، المرجع السابق، ص275.
- 21- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص737.
- 22- ابن حزم، الفصل، طبعة صبيح، دط، مكتبة السلام العالمية، 1348هـ، ج4، ص45.
- 23- ابن حزم، الفصل، ج4، نفسه.
- 24- عبد الحلیم عويس، المرجع السابق، ص285.
- 25- ابن حزم، المحلى، تحقيق عبد الغفار البنداري، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ج6، ص156/150.
- 26- رواه البخاري برواية عبد الله بن عمر، باب لا يظلم المسلم تحت رقم 2310، ص117، وكذلك رواه ابن حبان تحت رقم 533.
- 27- ابن حزم، المصدر السابق، ج6، ص159.
- 28- عبد الحلیم عويس، المرجع السابق، ص293.
- 29- ابن حزم، المصدر السابق، ج10، ص631.
- 30- عبد الحلیم عويس، المرجع السابق، ص315.
- 31- عبد الحلیم عويس، المرجع نفسه، ص318.